محاضرة رقم (8) الأنثروبولوجيا الحضرية

مقدمة:

تعتبر الانثروبولوجيا الحضرية من التخصصات العلمية الحديثة النشأة وقد أسهمت دراسات عديدة في نشأة وتأسيس هذا العلم ولعل أهم هذه الدراسات دراسة ***مانتج ناش*** **بقرية *كانتل*** في جواتيمالا، ودراسة **روبرت راد فيلد المتصل الشعبي الحضري**.

تعريف الانثروبولوجيا الحضرية:

- الانثروبولوجيا الحضرية علم يدرس الانسان وعلاقته بالمجال او الفضاء الحضري الذي ينتج فيه كل المواقف والسلوكات وبالتالي كل أشكال التفاعل الاجتماعي مع الاخرين والتفاعل مع بيئته، كما يهتم هذا العلم بالمدن ونشأتها وتطورها والحضارت الانسانية ودراسة العلاقة بين الريف والمدينة.
- علم يدس المدن الحديثة ومشكلاتها، كما تهتم بدراسة المدن المفقودة أو الضائعة التي ازدهرت في العصور الماضية وأفل نجمها مثل مدن حضارات أمريكا اللاتينية.

العوامل المفسرة لنشأة المدينة:

من بين العوامل التي أسهمت في نشأة المدينة نكر الاتي:

1) **التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية**: فالطابع الريفي القديم لم يعد يستوعب هذه التحولات، التي استدعت ظهور المدينة.
2) **التقدم المعرفي الذي عرفته الانسانية**: لقد خلقت مجموعة من التراكمات، والمعارف والانتاج والازدهار الاقتصادي الذي لم تستوعبه أنماط العيش القديم مجالا لظهور ونشأة المدينة، لكي تستوعب كل هذه الانماط والمعارف.
3) **القيم العلمية والثقافية الجديدة**: التقدم والتحولات أنتجت التحضر والتصنيع والذي صاحبه تغيير نمط فكر الانسان، ومن ثم التحرر من الكنيسة وظهور ما عرف بالعقد الاجتماعي (جان جاك روسو)، وظهور مجموعة من المفكرين أنتجوا نمط فكري جديد لم يستوعبه الريف فكان له الدور الفاعل في ظهور ونشأة المدينة، وللإشارة ان هذا التقدم ساهم فيه مجموعة من الفلاسفة واعتبروا ان البناء الاجتماعي القيمي يجب ان يتطور ويتغير ويجب ان يخدم الانسانية فكان تركيزهم على العدالة والمساواة لتحقيق مثل هكذا مبادئ.
4) **الثورة الزراعية**: كان من نتائج الثورة الزراعية أن أعطت فائضا في الانتاج وجب استغلاله هذا الفائض الذي ساهم في استقرار الانسان في تجمعات سكنية تتميز بالتنظيم وتوزيع الثروة، ونظرا لزيادة هذا الفائض توجب خلق مجال اخر يستوعبه والذي تمثل في مجال او فضاء المدينة.
5) **الثورة الصناعية**: أتت بمجموعة من المصانع والتكتلات الصناعية جلبت هذه التكتلات يد عاملة، ومن ثم نزوح اليد العاملة من الريف الى المدينة والمصانع.

ويمكن عرض ما سبق ذكره في الشكل التالي:

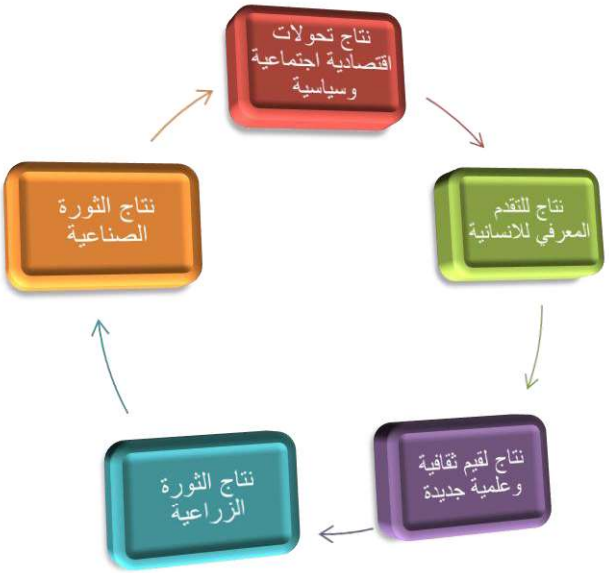

أسباب تأخر تأسيس الانثروبولوجيا الحضرية: نوضحها في الشكل الاتي:

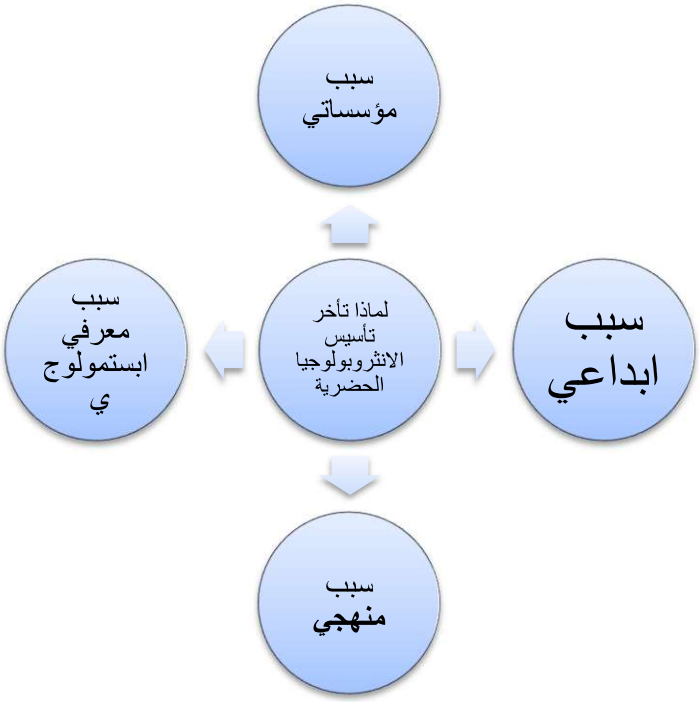

ويمكن تفسير سبب تأخر تأسيس الانثروبولوجيا الحضرية في قلة المراكز والمختبرات ودور البحث كالجامعات والفرق المتخصصة في هذا المجال، بالإضافة الى قلة التأليف والانتاج كسبب ابداعي اذ في

حدود السبعينات كانت مجرد كتابات في الجرائد وكتابات موجهة للطلبة لم تكن هناك مقالات أو بحوث أو كتابات في هذا المجال، وكسبب معرفي ابستمولوجي فيمكن القول ان موضوع المدينة تناولته مجموعة من العلوم كعلم الاجتماع حيث احتكر هذا الاخير هذا التخصص مما ساهم في تأخر تأسيسه، ناهيك عن توظيف المنهج الانثروبولوجي في بعض العلوم منها علم الاجتماع وعليه لم يكن هناك داع في ظهور الانثروبولوجيا الحضرية مادام منهجها يستخدم في علوم أخرى.

متى ستصبح الانثروبولوجيا الحضرية تخصص علمي؟:

هناك ثلاث عوامل أسهمت في جعل هذ المجال تخصص علمي قائم بذاته، نذرها في الاتي:

1. **الشرط السياسي:** فبعد الحرب العالمية الثانية تخلصت الانثروبولوجيا من دراسة المجتمعات البدائية، حيث أصبحت الفكرة السائدة ان الامم المتخلفة ليست متخلفة بل مختلفة يجب احترامها ويجب التخلص من دراستها دراسة بدائية بعد التخلص من هذه الفكرة توجهت الدارسات الى دراسة المجتمعات المحلية الحديثة وسيادة مفاهيم كالنسبية والتعددية واحترام الغير المختلف ثقافيا، ونادت أصوات بالخروج من القوقعة التي سيطرت عليها الانثروبولوجيا التقليدية حيث اعتبرت المجتمعات المغاربية والافريقية بدائية وهذه دعابة، لاستعمارها من أجل شرعنة استعمارها ويجب تطورها، هنا وبعد الحرب العالمية الثانية نادت أصوات بأن هذه المجتمعات ليست بدائية بل هي مختلفة وجب احترامها، في هذا الوقت تخلص الفكر الانثروبولوجي من الفكر المتعالي وبدأت دراسة المجتمعات الاوروبية.
2. **تطور مدن العالم في القرن العشرين20:** حيث ازداد عدد السكان فأصبح العالم يعيش نموا ديمغرافي، التطور التكنولوجي أيضا والهجرة الداخلية والخارجية للمدن والتي أنتجت ظواهر اجتماعية خطيرة كالجريمة فرضت تدخل الانثروبولوجيا لدراستها.
3. مساهمة وتطور العلوم الاخرى كـ: السوسيولوجيا الحضرية، والسوسيولوجيا الكلاسيكية، مدرسة شيكاغو أعمال ايميل دوركايم ...، هذت الزخم الانتاجي ساهم في بدأ التفكير في الانثروبولوجيا الحضرية.

المداخل النظرية في دراسة الانثروبولوجيا الحضرية: وسنتطرق هنا الى بعض هذه المداخل التي انقسمت الى مداخل كلاسيكية ومداخل معاصرة في حقل الانثروبولوجيا الحضرية.

الاتجاهات الكلاسيكية:

- **الاتجاه التطوري:** ويتزعمه ككل من ادوارد تايلور، هنري مورغان، جيمس فريزر، وارتبط بعلم البيولوجيا في القرن 19(شارل داروين الانجليزي، لامارك الفرنسي) فالمجتمع من وجهة هذه النظرية يشبه الجسم الحي في تطوره، وتضيف ان الصفات المعنوية مثل الثقافة العادات والتقاليد تورث كما تورث الصفات البيولوجية، ولقد أحدث ظهور هذا المدخل في الولايات المتحدة الامريكية ردود فعل، مما أدرى الى تحول العلماء في تفسير الثقافة نحو دراسة تفاصيل ثقافات المجتمعات كل منها على حدى، وفهمها في ضوء سياقها العام.

أما في انجلترا فقد اتجه البحث نحو الاهتمام بمعرفة حياة وثقافات المجتمعات من خلال تحليلها كأنساق على أساس أن كل علاقة أو نظام له وظيفة يمكن فهمها كجزء من كل أكبر هذا الكل هو المجتمع.

- **الاتجاه البنائي الوظيفي**: وقد نشأ كرد فعل للاتجاه التطوري في الوقت ذاته الذي ظهر فيه اتجاه الانتشار الثقافي في كل من اوروبا وأمريكا، وما يميز هذا الاتجاه أنه كان يركز على الثبات والاستقرار والتوازن ويقلل من أهمية وامكانية التغيير والاختلاف والصراع.

الاتجاهات المعاصرة في الانثروبولوجيا الحضرية:

- **مدخل الإيكولوجيا البشرية والاطار الحيوي:** وتهتم بدراسة تأثير التركيز السكاني في منطقة محدودة من المدينة، وأثر تلك الكثافة في البنية الاجتماعية ولثقافية، وعليه فإن وصف الأفراد بطابع الحضرية أو الريفية يتوقف أساسا على سكان المنطقة التي يعيشون فيها وخصائصهم وسماتهم وتفاعلاتهم مع المكان في اطار من النشاطات التعاونية ومواجهة الصراعات.
- **الانثروبولوجيا الرمزية:** في نظر ***كليفورد جيرتز*** عبارة عن نسق من المعاني وأن مهمة الانثروبولوجيا هي فهم المعاني وراء الافعال الثقافية، ومن ثم فان التركيز في الانثروبولوجيا الرمزية تكون على المعنى العام والطبيعي، فمن الضروري ملاحظة السلوك لأنه من خلال تدفق السلوك كنوع من الفعل الاجتماعي فإنه يمكن أن تتضح الثقافة، فالأفراد المشتركون في الثقافة يقولون شيئا معينا، والاثنوجرافي جامع المادة الميدانية يركز على فهم ما يقولون إذا ما أراد أن يفهم مجتمعهم.
- **الاتجاه الادراكي:** يركز على الجوانب العقلية والمعرفية في الثقافة كما يفهمها أضاء المجتمع نفسه وتتميز بأنها قواعد ومعان، وهذه كلها تساعد في فهم الطرق والوسائل التي تستخدمها الشعوب في فهم تجاربهم، وعليه فإن الانثروبولوجيا الادراكية تصف الثقافة بأنها التخطيط للفعل وليس الفعل نفسه، أو قواعد معينة تنسق السلوك أو مجموعة مدونة ومصاغة، فعلى الانثروبولوجي أن يفسر ماذا يتعلم الناس من الثقافة.
- **الانثروبولوجيا السلوكية:** وتدرس تأثير العوامل السيكولوجية في العمليات الثقافية، كما تدرس تأثير الممارسات الثقافية في العمليات السيكولوجية مثل الادراك والانفعالات والاتجاهات والشخصية، فقد اهتم العلماء بدراسة الثقافة والشخصية والعلاقة بينهما، وزاد الاهتمام بنظريات الثقافة والشخصية بالمجتمعات الحضرية والمعقدة فظهرت دراسة الشخصية القومية في اليابان و الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي سابقا،... وقد كان من نتائج هذه الدراسات صعوبة تعميم نتائج الشخصية في مجتمعات تتكون من جماعات عرقية وطبقات اجتماعية.
- **ثقافة الفقر:** وهو اتجاه نظري يرجع الى أعمال الانثروبولوجي ***أوسكار لويس*** التي أجراها على مجتمعات متخلفة في مدينة مكسيكو سيتي، ثم على الجالية المهاجرة من أبناء بورتوريكو الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية، متتبعا في دراسته 5 أسر من حيث: (عاداتهم الغذائية، ملبسهم وكيفية تعاملهم مع أبنائهم، قيمهم، نظرتهم للمستقبل، علاقاتهم ورؤيتهم للأخرين، وأنشطتهم،...) وقد خلص الى أن الفقر يخلق ثقافة خاصة به ذات عناصر مشتركة بين الفقراء أينما وجدوا عن طريق أسلوب خاص في التنشئة.
- وهناك أيضا ما يعرف بالاتجاه التوسعي، ونظرية الشبكات الاجتماعية، مدخل العلاقات السائدة أو المسيطرة، التمركز العرقي، مدخل التكيف الثقافي والاجتماعي.